OPEN ACCESS: http://theislamicculture.com

The Islamic Culture
Bi-Annual Research & Refereed Journal
Published by
Sheikh Zayed Islamic Centre,
University of Karachi
SZIC
الثقافة الإسلامية
ISSN (Print) : 1813-775X
ISSN (Online) : 2663-1709

حقيقة الاختلاف بين المفسرين

دراسة تحليلية نقدية للمسائل العقدية من خلال سورة البقرة

The fact of controversy among interpreters (A critical & analytical study of the creed riddles from the Surah Al-baqarah)

***Muhammad Umar Farooq**
Ph.D Schalar, Department of Tafseer and Quranic science, Faculty of Usulludin, International Islamic University Islamabad.
Muhammad Abdul Rasheed
Visiting Faculty teacher, Department of Islamic Studies, Bahria University Karachi

***محمد عمر فاروق**
طالب الدكتوراة، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد
****محمد عبد الرشيد**
أستاذ زائر، قسم العلوم الإسلامية، جامعة بحرية، كراتشي

Abstract:

There are two types of verses of the Holy Qur'an. One of them has a very clear meaning (*Muhkamat*) and the others are likely to have more than one meaning (*Mutashaihat*). Therefore, there is a huge difference amongst the commentators about the meaning and explanations of these verses. It is the need of time to study thoroughly about the sayings of commentators, their reasons of differences, the way forward for their solution and the principles on which these differences are based upon. Moreover, there is disagreement among scholars upon what is the reality of those verses and on the basis of what rules and principles can these statements be applied or prioritized? The verses in which the commentators differ the most are related to the doctrine of theology, (*Ilahiyat*) prophecy (*Nabuwat*), and *samiy'at*.

Therefore, in this article we have critically examined the reality of the differences between the commentators on these three issues. However, due to the Expansion of the subject, we have limited the scope of study to only *Surah Al-baqarah*.

Key Words: *Ilahiyat, Nabuwat, samiy'at*

أن الآيات القرآنية قد تشتمل على نوعين: المحكمات؛ أي ذات الدلالة القطعية، والمتشابهات؛ وهي التي تحتمل على أكثر من وجه؛ لذا وقع في المتشابهات اختلاف المفسرين بسبب اختلاف مسالكهم وأفكارهم وغيرها من أسباب ودوافع أخرى. ودراسة اختلاف المفسرين لها أهمية؛ إذا هي تتطلب الغوص على مقاصد قائليها، والترجيح بينها، وتحديد سبب الخلاف ونوعه، وبيان الأصول والضوابط التي يبنى عليها اختلاف المفسرين. وكذا ما مدى حقيقة الاختلاف في تعيين معنى الآية وكيف يمكن التعامل معه؟ وما مدى اختلاف الأقوال وكيف يمكن الجمع بينها في ضوء الأصول والقواعد التي بناها العلماء ضمن كل علم من علوم القرآن وما يتعلق به؟

قد وقع كثير من اختلاف المفسرين في الآيات المتشابهات التي تتعلق بالمسائل العقدية أي الإلهيات والنبوات والسمعيات. ففي هذا المقال قد قمنا بتقديم حقيقة الاختلاف بين المفسرين دراسة تحليلية نقدية حول المسائل العقدية، وبسبب طوالة الموضوع حددناه في سورة البقرة.

حقيقة اختلاف المفسرين في الإلهيات:

تطلق على كل ما يتعلق بذات الله وصفاته وأفعاله[1]. يوجد اختلاف المفسرين في تعيين معنى الآيات التي تتعلق بالإلهيات، وبعض الأمثلة منها كما يلي:

المثال الأول: قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2] اختلف في المراد بـــــ "وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ" في الآية إلى خمسة أقوال؛ القول الأول: "جامعهم فمحلّ بهم العقوبة". القول الثاني: "جامعهم في جهنم". وهذا القول منقول عن مجاهد. القول الثالث: "الله منزلٌ ذلك بهم من النِّقمة". وهذا مرويّ عن عكرمة من طريق ابن عباس رضي الله عنهما. القول الرابع: "عالم بأعمالهم". القول الخامس: "أي البعث بعد الموت، فيبعث أولياءه وأعداءه فينبئهم بأعمالهم". هذا القول مروي عن الربيع بن أنس [3].

حقيقة الاختلاف:

والاختلاف اختلاف تنوع يرجع إلى الاختلاف في التعبير عن اللفظ بألفاظ متقاربة. فإنه يتبين من المعاني السابقة أنها متماثلة، وأن الاختلاف فيها هو الاختلاف في التعبير عن الصفة "محيط" وكلها تؤدي إلى معنى واحد؛ إذ الإحاطة: "هي إدراك الشيء بكماله ظاهراً وباطناً، والاستدارة به من جميع جوانبه"[4] و"الإحاطة على نوعين؛ الأول: "في الجسم مثل أَحَطْتُ بمكان كذا، أو مستعمل في الإبقاء" نحو: ﴿أَلَآ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ أي: دافعه من كل نواحيه، وتستعمل في المنع مثل: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡ﴾ أي: إلّا أن تمنعوا، والثاني: في العلم مثل قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾"[5]. وقال الإمام الرازي: "أُطلق "المحيط" على الله من حيث المجاز لأن المحيط بالشيء هو الذي يحيط به من جميع الجوانب، وهو من صفات الجسم، ولكن الله حينما عالم بجميع من الأشياء وقادر على جميع من الممكنات فمناسب باعتبار مجاز اللغوي بأنه محيط بها"[6]. فالله سبحانه محيطٌ بهم إحاطة علمٍ وإدراكٍ، وهو جامعهم ومعذبهم بما قدموه من المعاصي ومثلها.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[7] اختلف في المراد بالاستواء في حق الله تعالى المذكور في الآية حتى تصل الأقوال المنقولة فيها إلى ستة أقوال؛ القول الأول: "معناه أقبل عليها وبه قال الفراء"[8]. القول الثاني: "لم يناسب ذكره بتبدل، ولكنه بمعنى الفعل". القول الثالث: وقال بعضهم: "استوى إلى السماء، أي: عمدَ لها". القول الرابع: يعني به "استوت". القول الخامس: "ارتفع الأمر إلى السماء". القول السادس: "الاستواء هو العلو، والعلوّ هو الارتفاع" [9].

حقيقة الاختلاف:

لو تتبعنا كتب اللغة في المعاني المذكورة أعلاه في كلمة الاستواء نجد جميعها مرادة[10]، فالاستواء في الأدب العربي على ثلاثة أوجه: "أن يستوي الرجل ويختم نشؤه، أو يستوي عن كل من العيوب". أما وجه ثالث أن تقول: "كان قادماً إلى فلان"[11]. وبالنظر في سياق الآية فإن الوجه الثالث هو الذي يتمشى مع الآية، وبه أخذ الإمام الفراء.

وقد بيّن الإمام الرازي في تفسيره للآية ما يرجحه من المعنى؛ حيث ذكر إن الانتصاب وضده الإعوجاج من صفات الأجسام، والله تعالى منزّهٌ عن ذلك، وكذا لا يمكن القول بأن الاستواء يراد به

العلو؛ لأن سياق الآية ينفي ذلك؛ وذلك لأن "ثم" تقتضي التراخي، ولو أريد العلو لاقتضى أن يكون هو الحاصل أولاً، ثم يقرر معناه الذي يراه فيقول: "إن ثبت فوجب التأويل أي أنه هو مكان الاستقامة كما قيل استقام العود بوقت القيام والاعتدال"، ثم قيل: "استوى إليه كالنصيب المرسل إذا عزمه عزماً معتدلاً بدون أن يتوجه إلى أمر آخر، ومنه خلق السماء بعد الأرض وليس هناك زمانٌ بين الأرض والسماء"[12].

وهكذا تبين في معنى الاستواء المعنيين: "الإقبال عليه وإليه، أو القصد من غير تراخ في الزمن". وهو بمعنى عمد إليها. وقد سئل سائلٌ عن الإمام مالك مرة حول هذه الآية فأجاب: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة" [13]. فالاستواء غير مجهول أي "معلوم المعنى في لغة العرب وهو ما تبين أعلاه". والكيف غير معقول "لأنه مما استأثره الله بعلمه". والإيمان به واجب أي "أن استواء الله في الحقيقة واجب الإيمان به بسبب وروده في النصوص". والسؤال عنه بدعة أي "الاستفسار عن حقيقة الاستواء بدعة وضلال" [14].

وقد ذهب أصحاب الفرق الضالة بتأويل الصفات عن ظاهرها أو نفيها مطلقاً بحجة أنها تشبه صفات المخلوقين، وقد قالوا في استواء الله تعالى أنه الاستيلاء والملك والقهر، وهو مردود[15]. أما نوع الاختلاف: هو اختلاف تنوع يرجع إلى الاختلاف في اللفظ باعتبار معانيه المختلفة.

المثال الثالث: قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[16] اُختلف معنى وحدانية الله تعالى إلى معنيين؛ الأول: "أنه لا مثل له ولا نظير؛ أي نفي الأشباه والنظائر عنه سبحانه". والثاني: "انفراده من الأشياء، وانفراد الأشياء منه".

أما التأويل لهذين القولين؛ فتأويل المعنى الأول: أن قول القائل (واحد) يفهم لمعان أربعة؛ المعنى الأول: "واحد في جنسه" كالإنسان واحد في الإنس. المعنى الثاني: "بأنه ليس متفرّق" مثل الجزء -غير المنقسم-. المعنى الثالث: "معناه المِثلُ والاتفاق" مثل قول القائل: هذان الأمران واحد، أراد به "أنهما متماثلان" إلى أن صارا بسبب تماثلهما فيها كشيء واحد. المعنى الرابع: "أن يراد به نفي النظير عنه والتمثيل". حينما انتفت جميع من هذه المعاني، صحّ المعنى الرابع في وصفه له.

وتأويل المعنى الثاني: "إنه وحيداً بسبب أنه لم يدخل في أمر ولا أمر يدخل فيه". ونفوا المعاني الأربعة السالفة ذكرها، وقالوا بمعنى المنفرد للفظ (الواحد)[17].

حقيقة الاختلاف:

لو دققنا النظر في المعنيين السابقين نرى أن الاختلاف بينهما اختلاف في المصطلحات؛ فالذي ليس له مثيل ولا نظير هو المنفرد الواحد، فالمعنيان متداخلان فيما بينهما. "والحقيقة باعتبار الكلام العقلي بأن الأوامر الصادقة عليها أنها واحد تشترك في معنى الوحدانية، وتختلف في خصائص ماهياتها"[18]. فالوحدانية لله تعالى أثبتت في الآية بمراعتين؛ الأولى: ذاته غير مركبة من اجتماع أشياء كثيرة. وبهذا فهو المنفرد وحده، والثانية: "أنه ليس في الوجود ما يشاركه في جعله واجب باعتبار الوجود وفي كونه مبدأ لوجود كل من الممكنات، وبهذا فهو الذي لا مثل له ولا نظير" [19]. فاختلاف المفسرين في الحقيقة هو اختلاف تنوع يرجع إلى اختلاف في المعنى بالتعبير عن اللفظ بأكثر من معنى.

قد يتبين اختلاف كثير في مبحث الإلهيات؛ ولذلك فقد وضع أسلافنا طريقة وسلكاً ونمطاً ومنهجاً اتبعوه في التعامل مع أسماء الله وصفاته يقوم على أسس ثلاث بيّنها الله تعالى في ثنايا كتابه العزيز؛ منها: "والإيمان الذي مذكور به في القرآن والسنة الشريفة حول أسماء الله وصفاته نفياً كانت أو إثباتاً"، ومنها: "أن الله تعالى منزهٌ بأن يشبه بصفات مخلوقه"، ومنها: "قطع الطماعة عن تفاهم كيفية اتصاف الله بها".[20]

حقيقة اختلاف المفسرين في النبوات:

يراد بالنبوات: "البحث فيما يجب للرسل والأنبياء، وما يستحيل، وما يجوز في حقهم صلوات الله وسلامه عليهم، والمعجزات الدالة على صدقهم، ووجه دلالتها، ووجوب الإيمان بالرسل كجزء في بنية الإيمان" [21].

ومن أمثلة النبوات كمسألة التفاضل بين الأنبياء الواردة في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ...﴾ [22] اختلف في تفضيل الرسل بعضهم على بعض، وإلى أي مدى يقصد هذا الاختلاف، ففيما ذكر؛ القول الأول: "تفضيل بعضهم على بعض بكراماتهم، فمنهم كليم الله، ورفعت درجات البعض على البعض". عن مجاهد: "أن الله كلّم موسى، وأرسل رسول الله إلى جميع

الناس". وقيل: "كلّم الله موسى عليه السلام ورفع بعضهم درجات أي رفع درجات نبيه إدريس" بقوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[23]، وعن الزجاج: "وليس هناك أي شيء من آياته التي أعطاها الله أنبيائه لم يعطى محمداً عليه التحية والسلام أكثر من ذلك". القول الثاني: وقيل: المراد من التفضيل هو: "عدم تسويتهم في الفضيلة، وإن استووا في القيام بالرسالة". وعن الربيع بن خثيم: "لا توجد فضيلة البعض على البعض و لم نفضل على خليل الله أحداً". القول الثالث: تفضيلهم بأن: "جعل الله إبراهيم خليلًا، وموسى كليم الله، وعيسى كمثل آدم، حتى قيل له بعد خلقه: كن فيكون، وهو عبد الله وكلمته، وأنزل كتابه على داود، وسليمان جعله ملكاً، وغفر لمحمد ما تقدم من ذنبه وما تأخر" وهذا القول مرويٌ عن قتادة[24].

"الفضيلة لا تكون إلا من ثلاثة أوجه؛ الوجه الأول: "أن تكون نبوة نبيٍ تدلّ أكثر"، والثاني: "كثرة أمته"، أما الأخير: "أن يكون أفضل بذاته"[25]. وإذا تأملنا الأقوال الثلاثة السابقة نجد أن كلها تُثبتْ التفاضل بين الأنبياء بسببها المختلفة، وأنهم درجات بعضها فوق بعض في الفضل والمنزلة عند الله تعالى، وهذا التفاوت الواقع بينهم ليس تفاوتاً في طبيعة رسالتهم، ولا في محتوى عقيدتهم الإيمانية المشتركة، وإنما هو تفاوت في دائرة الاختصاص المحددة لكل منهم، وهو أيضا تفاوت في المواهب والخصال والسمات التي يمنحها الحق سبحانه وتعالى لهم، فمنهم "أولو العزم" الذين يتحملون في سبيل رسالتهم أقصى المتاعب وأشد التضحيات، ومنهم من يتحمل ما دون ذلك، وهكذا. وقد حدّد الله سبحانه معايير التفاضل ومقاييسها على أسس موضوعية متعلقة بالنبوة أو الرسالة، فضرب مثلاً لذلك بتكليمه لموسى عليه السلام ونحوه، بما يفهم منه وجوب أن يكون التفاضل على هذه الأسس.

توجيه الحديث الوارد في النهي عن تفضيل الأنبياء والتصريح بتفاضلهم في الآية:

الحديث: شاتم رجلان، واحد منهما كان مسلماً والآخر يهودياً، فالمسلم "تفضل رسول الله على العالمين"، وتفضل اليهودي "موسى على العالمين"، فانصرف اليهودي إلى النبي عليه السلام، فأطلعه بما حدث، فطلب النبي -عليه التحية والسلام- مسلماً، فسأله عنه، فأخبره، فقال له النبي عليه السلام "لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ"[26]

وفي رواية: "لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالعَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي"[27].

لقد جمع العلماء الأحاديث الواردة في النهي عن تفاضل الأنبياء والآية التي تثبت منها التفاضل بأوجه كثيرة، أهمها:

- قد يكون النهي ورد قبل علمه عليه السلام بفضله على الأنبياء أو قبل حكم التفضيل.
- أن نهي التفضيل فيمن يقول برأيه لا من يقوله بدليل، أو فيمن يفضل بمجرد الآراء والعصبية.
- أو نهى عليه السلام من حيث التواضع، ويمكن أنه منع من فضيلة العمل بأنه أفضل مني من حيث العمل، ولا في المصيبة والامتحان فإنه أكبر محنة مني.
- أن النهي وارد فيما إذا كان فيه تقليص المفضول، أو ما يفضي إلى النزاع.
- أو أن نهي التفضيل في حال التحاكم عند التخاصم والتشاجر.
- أو قد يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أراد بنهيه بأن هذا الأمر ليس في اختيارك وإنما هو في اختيار الله عز وجل وعلى المسلم الانجرار والإقرار والإيمان [28].
- وأحسن فيه: "النهي هو من جهة النبوة لأنها خصلة واحدة، وأما الفضيلة هي في زيادة الأحوال والخصائص والكرامات والمعجزات، أما النبوة بذاتها ليست هكذا بل التفضيل بين الأنبياء بأمور آخر"...[29].

حقيقة الاختلاف:

فالاختلاف فيه هو اختلاف تنوع يرجع إلى الإجمال الوارد في الآية. ويمكن لنا أن نقول: "وهذا إعلام بأن بعض الرسل أفضل من بعض إجمالاً، بدون تعيين الفاضل أو المفضول، لأن كل فريق مشترك في صفة الخير سواء، ومع ذلك هناك صفات الكمال باذخة على الصفة المشاعة بينهم"، "فإذا كان التفضيل قد أخبر به الرب فلم يجز للناس أن يحددوا مراتبهم، وظنهم الوقوف عند ما ينبئهم الله في كتابه أو على لسان رسوله"، وهذا هو ما ذكر في الحديث أي عدم التفضيل بينهم فينهي عن التفضيل المفصل بخلاف المجمل[30].

حقيقة اختلاف المفسرين في السمعيات:

يراد بالسمعيات: "هي الأمور الموقوفة على السمع مثل المعاد، وأسباب السعادة والشقاوة من الإيمان، والطاعة، والكفر، والمعصية"[31]. وسبب تسميتها بالسمعيات هو "لا يوجد الطريق لمعرفتها إلا الكتاب والسنة، والأصل في وصولهما إلينا السماع من الصادق، فلا دخل للعقل في الوصول إلى ما يذكر في مباحثها وما يجب الإيمان بها، ولا يعني ذلك تعرِّيها عن الأدلة العقلية، فهي مسموعة ومشفوعة بأدلتها". وتسمى الغيبيات أيضاً؛ لأنها أمور غائبة عنا ولا أثر لها في حياتنا يدل عليها دلالة قطعية[32].

ومن أمثلة السمعيات كما تلي:

المثال الأول: قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[33] اُختلف في المراد بالموتتين والحياتين في الآية؛ القول الأول: "كنتم تُرابًا أي ميتة فأحياكم". "ثم يميتكم هو الرجوع إلى القبور، هي ميتة ثانية، ثم يبعثكم يوم القيامة فهي حياة". فإذاً مرتان موت ومرتان حياة. القول الثاني: "كانوا أمواتًا في صلب آبائهم، فأحياهم الله وخلقهم، ثم أماتهم الموتة التي لا مفر منها، ثم أحياهم ليوم القيامة فإذاً مرتان موت ومرتان حياة". هذا عن ابن عباس وقتادة. القول الثالث: "كُنْتُمْ أَمْوَاتاً: هذا بعد الميثاق، فَأَحْيَاكُمْ هو الخلق في بطون أمهات ثم أخرجكم أحياء، ثم يُميتُكُمْ بعد أن انقضاء آجالكم في الدنيا، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ليوم القيامة"، فذلك قول الله: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾، وهذا قول ابن زيد[34]. القول الرابع: "وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً في قبوركم، فَأَحْيَاكُمْ للمساءلة، ثُمَّ يُميتُكُمْ في قبوركم بعدها، ثم يحييكم بوقت نفخ الصور للبعث لأن حقيقة الموت ما كان عن حياة". وهذا قول أبي صالح[35].

أما تأويل القول الأول: "فباعتبار أن الأمر الحامل للذكر يقال له: هذا شيء ميتٌ على نحو قول العرب، فيكون معنى الآية أي كنتم تكاسلاً لا ذكر لكم، وذلك بسبب موتكم فأحياكم، فجعلكم بَشرًا أحياء تُذكرون، ثم يموتكم بإمساك أرواحكم"...[36]. وتأويل القول الثاني: "أنهم كانوا في سلب آبائهم أي لا أرواح فيها، فكانت بمعنى سائر الأشياء الموتة لا أرواح فيها، فأحياها الله تعالى

بنفخ الروح فيها، ثم أماتها بقبض أرواحها، ثم أحياها يوم النفخ في الصور والبعث الموعود"[37]. وتأويل القول الثالث: "ولعل قصد صاحب هذا القول أنهم كانوا في أصلاب آبائهم لا ذكر لهم ولا عهد، أي بمثابة الميت بالمعنى الأول، فأحياهم الله حين نفخ فيهم الروح في الأرحام، ثم أماتهم بقبض أرواحهم ليعودوا إلى أصل ما خلقوا له، فأحياهم ثالثة للبعث والنشور"[38]. وتأويل القول الرابع: "أن الإماتة يراد بها خروج الروح من الجسد، ولذا المراد بالموتة الأولى الموت الحقيقي في الدنيا ثم يكون الإحياء في القبر وهكذا"..."[39].

حقيقة الاختلاف:

بالتمعن والنظر يتضح أن القولين الأولَين لا فرق بينهما؛ ففي كليهما اعتبار الميت بأنه الذي لا ذكر له ولا أثر، أي معدومي الذكر والأثر، فكونه لا شيء أي ميت، وتلك الميتة الأولى، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾[40]. أما القول الثالث ففيه نظر: حيث إن في تأويل الطبري للقول يتبين أن ابن زيد زعم أن الله أحياهم ثلاث مرات، وأماتهم ثلاث مرات، ثم يقول: "والأمر عندنا وإن كان فيما تصوّر من تخليق الله جل ذكره من صُلب آدم ذرّيته، وأخذه عهده عليهم كما ذكر فهذا ليس من تأويل قوله كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا وقوله رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ في شيء؛ لأن أحدًا لم يدع أن الله أمات من ذَرأ يومئذ غير الإماتة التي صار بها إلى القيامة في جهنم"[41] وأما القول الرابع فقد انكره ابن كثير[42] واستبعده الآلوسي في تفسيره؛ حيث قال: "وأبعد الأقوال عندي حمل الموت الأول على المعهود بعد انتهاء الساعة، والإحياء الأول على ما يكون للمسألة في اللحد كالماضي مكان المستقبل"[43] وكذا يستبعده سياق الآية؛ إذ إن الآية بعدها في معرض الحديث عن خلق السماوات والأرض، وجعله سبحانه في الأرض خليفة، ولا شك أن هذا قبل وجود الإنسان أي كونه حامل الذكر معدوم الأثر. فنوع الاختلاف هو اختلاف تنوع يرجع إلى أكثر من معنى.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[44] اختلف في المعني بالأعمال التي تصبح حسرات على صاحبها يوم القيامة؛ القول الأول: "الطاعات، يحسرون لـــــِمَ هدروها". القول الثاني: "الخطايا ومشاريعهم السيئة، يتحسرون لـــِمَ

عملوها". "فيريهم الله أعمالهم البذيئة حسرات عليهم إذا اعتبروا أخير المجازاة للمؤمنين بأعمالهم". هذا قول ابن زيد وغيره. القول الثالث: "ثواب طاعاتهم التي أتوا بها، فأحبطوه بالكفر". هذا قول الأصم.[45] أي أن الله يريهم ثواب أعمالهم وجزائها، فحذف الجزاء وأقام الأعمال مقامه. القول الرابع: "بسبب أعمالهم يقربون إلى رؤسائهم بالتعظيم والانقياد، فيراد منه الأعمال التي اتبعوا فيها الأرباب وهو كفرهم وأخطاؤهم؛ وإنما تكون أسف بأن رأوها في صحيفتهم واستيقنوا بالجزاء عليها، وكان يمكنهم تركها والانصراف إلى الطاعات"[46].

حقيقة الاختلاف:

فسواءً كانت الطاعات أو المعاصي فإنها ستكون الحسرة هي المعنية في هذا المقام، فحسرتهم على عمل المعاصي أو حسرتهم على ترك فعل الطاعات كل ذلك مقام التأسف والتندم لموقف ترجى فيه الحسنات لرفع الدرجات والحصول على خير الجزاء؛ لهذا لا يوجد التعارض بين الأقوال المذكورة أعلاه. أما نوع الاختلاف هو اختلاف تنوع يرجع إلى الإجمال الوارد في الآية.

نتائج البحث:

لقد وصلنا من خلال هذه الدراسة إلى أبرز النتائج التالية:

1. اختلاف المفسرين في بيان معنى الآية هو اختلاف ظاهري ليس حقيقياً، بل هو اختلاف تنوع فلا معارضة فيه، وليست مضرة عن وقوعه، بل أحياناً وقوعه مطلوباً من جهة كمال توضيح المعاني وتشريحها وتيسيرها وتسهلها وتفيدها للمستمع.
2. كثير من الاختلاف وقع بسبب التداخل بين المصطلحات مثل العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين؛ فبيّن بعض المفسرين معنى الآية مطلقاً وبعض الآخرين قيّده، وكذا بيّنها البعض بطريق الإجمال والآخرين بطريق التفصيل، أو فسّر البعض الآية بلفظٍ والآخر بلفظ آخر، ولكن في الحقيقة جميع هذه الألفاظ متقاربة من حيث المعنى كما اختار كل من المفسرين ألفاظاً متقاربةً لبيان معنى قوله تعالى "وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ".
3. من المسائل الهامة العقدية المختلفة بين المفسرين هي مسألة تحديد معنى "ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ" حيث نقلت أقوال كثيرة من قبل المفسرين، ولكن لو تتبعنا جميع من أقوالهم من حيث

اللغة فنجد جميعها مرادة لأن الاستواء في كلام العرب مبنيٌّ على ثلاثة أوجه؛ فاختار بعض المفسرين بوجه والآخرون بوجه آخر.

4. من مسائل النبوات التي فيها كلامٌ كثيرٌ مسألة "التفضيل بين الأنبياء" فرأى البعض تفضيل بعض على البعض بكراماتهم، أما الآخرون ذهبوا إلى عدم تسويتهم الفضيلة وإن استووا في القيام بالرسالة، ولكن في الحقيقة ليس هناك اختلاف لأن التفاضل ثابتة بين الأنبياء من حيث الفضل ودائرة الاختصاص والمواهب والخصال، لا من طبيعة الرسالة ولا في محتوى العقائد، وكل منهم اشتركوا في صفة الخير.

5. يمكن للباحثين في مرحلة الماجستير والدكتوراة أن يختاروا موضوعاً للبحث مثل "حقيقة اختلاف المفسرين في تحديد معنى الآيات المتعلقة بإلهيات" أو بالنبوات أو بالسمعيات هكذا، وعلى الباحثين أن يقدموا أولاً دراسة نظرية تأصيلية وبعده أن يركزوا على بيان التطبيق بين أقوال المفسرين.

الإحالات والحواشي:

1) انظر: الجرجاني، علي بن محمد، شرح المواقف، ط1: 1419هـ، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ج:8، ص:3.

2) سورة البقرة: 19.

3) انظر: الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ط1: 1420هـ، مؤسسة الرسالة: بيروت، لبنان، ج: 1، ص: 356. وانظر: السمرقندي، أبو الليث، نصر بن محمد بن أحمد، بحر العلوم، ط2: 1376هـ، ج: 1، ص:32.

4) الكفوي، الحسيني، أبو البقاء، أيوب بن موسى، الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط: 1419هـ، مؤسسة الرسالة: بيروت، لبنان، ص: 56.

5) الأصفهاني، أبو القاسم، حسين بن محمد، المفردات، تحقيق: صفوان عدنان، ط1: 1412هـ، دار القلم: دمشق، سوريا، ص: 265 و 266. والآيات بالترتيب: سورة فصلت: 54، سورة يوسف: 66، سورة الطلاق: 12.

6) تفسير الرازي، ج: 8، ص:178.

7) سورة البقرة: 29.

8) هو: أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، المعروف بالفراء. إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. من كتبه: معاني القرآن، المذكر والمؤنث، واللغات، وغيرها. توفي سنة 207 هـــــ. انظر: السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط (بدون)، المكتبة العصرية: صيدا- لبنان، ج: 2، ص: 333.

9) انظر: تفسير الطبري، ج: 1، ص: 428 و 429. وانظر: الزجاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط1: 1408، عالم الكتب: بيروت، لبنان. ج: 1، ص: 107.

10) انظر: الجوهري، الفرابي، إسماعيل بن حماد، الصحاح، مادة(سوى)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4: 1987م، دار العلم للملايين: بيروت، لبنان، ج: 6، ص: 2385. وانظر: ابن منظور، الإفريقي، أبو الفضل، جمال الدين، لسان العرب، مادة (سوى)، ط3: 1414هـــ، دار صادر: بيروت، لبنان، ج: 14، ص: 414.

11) الفراء، أبو زكريا، يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وغيرهم، ط (بدون)، دار المصرية للتأليف والترجمة: مصر، ج: 1، ص: 25.

12) تفسير الرازي، ج: 2، ص: 142و 143.

13) الأثر: أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، باب ما جاء في قول الله عز وجل: ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ، رقم الحديث: 867. انظر: البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين، الأسماء والصفات، ط1: 1421هـــ، مكتبة السوادي: جدة- المملكة العربية السعودية، ج: 2، ص: 306. وروي في ذلك أيضا عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أستاذ مالك بن أنس رضي الله تعالى عنهما. انظر: العجلي، أبو الحسن، أحمد بن عبد الله، تاريخ الثقات، ط1: 1405هـــ-1984م، دار الباز، ص: 158. والآية: سورة طه: 5.

14) انظر: التميمي، محمد بن خليفة بن علي، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، ط1: 1419هـــ-1999م، أضواء السلف: الرياض- المملكة العربية السعودية، ص: 103.

15) انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، ط4: 1404هـــ-1984م، الدار السلفية: الكويت، ص :49.

16) سورة البقرة: 163.

17) تفسير الطبري، ج: 3، ص: 265و 266.

18) تفسير الرازي، ج: 4، ص: 145.

19) المصدر السابق، ج: 4، ص: 145.

20) انظر: الشنقيطي، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، ص:42 و 43.

21) بركات، محمود عبد المعطي، قضايا النبوات، ط1: 1404ه، ص: 110. وانظر: حسن أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية، ط: 1400هـ، الإتحاد الإسلامي العالمي: الكويت، ص:156.

22) سورة البقرة: 253.

23) سورة مريم: 57.

24) انظر: الزجاج، معاني القرآن، ج: 1، ص: 334. وانظر: تفسير الطبري، ج: 5، ص: 378. وانظر: السمرقندي، بحر العلوم، ج: 1، ص: 166. وانظر: الواحدي، أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وغيره، ط1: 1415هـ - 1994م، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، ج: 1، ص: 363. وانظر: السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور، ط1: 1419هـ، دار الهلال: بيروت، لبنان، ج: 2، ص:3.

25) السمرقندي، بحر العلوم، ج: 1، ص: 166.

26) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، رقم الحديث: 2411 عن أبي هريرة بلفظه. انظر: البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط4: 1413هـ، دار الحديث: القاهرة، مصر، ج: 3، ص: 120. وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، رقم الحديث: 6300، عنه بنحوه. انظر: مسلم، أبو الحسن، النيشابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ط: (بدون)، دار الجيل: بيروت، لبنان: ج: 7، ص: 100. والرجلان المرادان ذكرهما ابن بشكوال أنهما: رجل من المسلمين هو: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ورجل من اليهود وهو: فنحاص. انظر: ابن بشكوال، الخزرجي، أبو القاسم، خلف بن عبد الملك بن مسعود، غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة، تحقيق: عز الدين علي السيد وآخرون، ط1: 1407هـ، عالم الكتب: بيروت- لبنان، ج: 1، ص: 300.

27) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ، رقم الحديث: 3414، عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظه. انظر: البخاري، صحيح البخاري، ج: 4، ص: 159.

28) انظر: ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2: 1420ه، دار طيبة للنشر والتوزيع، ج: 1، ص: 671. وانظر: العسقلاني، ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري، ط: 1379هـ، دار المعرفة: بيروت، لبنان، ج: 6، ص: 446.

29) القرطبي، الخزرجي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، ط2: 1423هـ، دار عالم الكتب: الرياض، المملكة العربية السعودية، ج: 3، ص: 262.

30) ابن عاشور، التونس، محمد طاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ط1: 1420هـ، مؤسسة التاريخ العربي: بيروت، لبنان، ج: 3، ص:6.

31) الجرجاني، شرح المواقف، ج: 8، ص: 241.

32) انظر: محمود بركات، قضايا النبوات، ص: 10. حسن أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية، ص: 250.

33) سورة البقرة: 28.

34) تفسير الماوردي، ج: 1، ص: 91. وانظر: تفسير الطبري، ج: 1، ص: 419و 420. وانظر: تفسير ابن أبي حاتم، ج: 1، ص: 73. والآية سورة غافر: 11.

35) تفسير الماوردي، ج: 1، ص: 91. وأبو صالح: هو: باذام، وقيل: باذان الهاشمي الكوفي، مولى أم هانئ بنت أبي طالب. روى عن ابن عباس ولم يسمع منه، وأبي هريرة، وغيرهما. وروى عنه: إسماعيل بن أبي خالد والسدي وسماك بن حرب، وغيرهم. عده ابن حبان من المجروحين. انظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج: 2، ص: 431. وانظر: ابن حبان، أبو حاتم، الدرامي، محمد بن حبان، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط1: 1396هـ، دار الوعي: حلب- سوريا، ج: 1، ص:185.

36) تفسير الطبري، ج: 1، ص: 421.

37) انظر: المصدر السابق، ج: 1، ص: 422.

38) انظر: المصدر السابق، ج: 1، ص: 423.

39) انظر: المصدر السابق، ج: 1، ص: 422.

والمَوْتُ: السُّكونُ، وكلُّ مَا سَكنَ فَقَدْ ماتَ. يقال: مَاتَتِ الريحُ: أي سَكَنَتْ، ومنه سمي النوم مَوْتاً؛ لأنه يزول معه العقل والحركة، تمثيلاً وتشبيهاً، لا تحقيقاً. ابن منظور، لسان العرب، مادة (موت)، ج: 2، ص: 92.

40) سورة الإنسان: 1

41) تفسير الطبري، ج: 1، ص: 423.

42) انظر: تفسير ابن كثير، ج: 1، ص: 213.

43) الآلوسي، شهاب الدين، محمود بن عبد الله، روح المعاني، تحقيق: على عبد الباري عطية، ط4: 1415هـ، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، ج: 1، ص: 215.

44) سورة البقرة: 167.

45) هو: أبو بكر، عبد الرحمن بن كيسان الأصم المعتزلي. كان مفسراً وفقيهاً، ومن أفصح الناس. صاحب المقالات في الأصول. وابن عُلية أحد تلاميذه. توفي سنة 225هـ. انظر: العسقلاني، ابن حجر، أبو الفضل، أحمد بن علي، لسان الميزان، ط2: 1390هـ- 1971م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت- لبنان، ج: 5، ص: 121. وانظر: الزركلي، الأعلام، ج: 3، ص: 323.

46) انظر: تفسير الرازي، ج: 4، ص: 191. وانظر: ابن الجوزي، أبو الفرج، جمال الدين، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1: 1422هـ، دار الكتاب العربي: بيروت- لبنان، ج: 1، ص: 131.

Bibliography

1. Al-jurjani, Ali bin Muhammad, sharh-ul-muw'aqif, 1419H, Dar-ul-kutub al-ilmia, Beirut, Lebanon, Vol: 8, P: 3.
2. Al-baqara: 19
3. Al-tabri, Abu Jafir, Muhammad bin Jareer, Jami-ul-byan fi aai al-qur'an, 1420H, Beirut, Lebanon, Vol: 1, P: 356.
4. Al-kafwi, Al-husani, Abul baqa, Ayoub bin Mousa, Al-kuli'at, 1419H, Musa'sa al-risala, Beirut, Lebanon, P: 56.
5. Al-asfhani, Abu al-qasim, Hussan bin Muhammad, Al-mufradat, 1412H, Dar al-qlam, Soria, P: 265, 266.
6. Al-baqarah: 29
7. Al-suti, Jalal Uddin, Abdul Rahman, Bagh'ya tul woa'at fi tabaqat al lughween wa al-nuhat, Maktaba al-asria, Saida, Lebanon, Vol: 2, P:333.
8. Al-zujaj, Abu Ishaq, Ibrahim bin sri, Maa'ni al-qur'an wa ira'bu, 1408H, Alim-ul-kutub, Beirut, Lebanon, Vol: 1, P: 107.
9. Ibn Manzoor, Abu al-fazl, Jamal Uddin, Lisan al-arab, 1414H, dar sadir, Beirut, Lebanon, Vol: 14, P: 414.
10. Al-fra, Abu Zakria, Yahya bin ziat, Maa'ni al-qur'an, dar misria, Egypt, Vol: 1, P: 25.
11. Al-tmimi, Muhammad bin Khalifa bin Ali, Mu'taqid ahlu sunnah wa al-jma fi twheed wa al-sifat, 1419H, Al-riath, Saudi Arabia, P: 103.
12. Al-shanqiti, Muhammad al-ameen bin Muhammad al-mukhtar, Method and study for Ayat al-asma and al-sifat, 1404H, dar al-salfia, Kuwait, P: 49.
13. Al-baqra: 163
14. Barkat, Mehmood abdul muti, Qzaya al-nubu'wat, 1404H, P: 110.
15. Al-baqra: 253
16. Maryam: 57
17. Al-wahdi, Ali bin Ahmed, Al-waseet fi tafseer al-qur'an, 1415H, dar-ul-kutub al-ilmia, Beirut, Lebanon, Vol: 1, P: 363.
18. Al-soudi, Jalal Uddin, abdul Rahman bin abi Baker, Al-dur ul-mansoor, 1419H, dar hilal, Beirut, Lebanon, Vol: 2, P: 3.
19. Ibn Kathir, Abul fida, Isma'il bin umar bin kathir, Tafseer al-qur'an al-azeem, 1420H, dar byiba linnashr wa al-tauzi, Vol: 1, P: 671.
20. Al-baqrah: 167

21. Al-qurdabi, Abu Abdullah, Muhammad bin Ahmed, Al-jami Li Ahkam al-qur'an, 1423H, dar alum kutub, Riath, Saudi Arabia, Vol: 3, P: 262.
22. Ibn Aashoor, Muhammad Tahir bin Muhammad bin Muhammad al-tahir, Al-threer wa al-tanweer, 1420H, Mussa'ssa al-tarikh al-arabia, Beirut, Lebanon, Vol: 3, P: 6.
23. Al-baqra: 28
24. Ibn al-juzi, Jamal Uddin, Abdul Rahman bin Ali, Zad al-maseer fi ilm al-tafseer, Dar al-kutub al-arabia, Beirut, Lebanon, Vol: 1, P: 131.